كتب

مشروع سردي يقرأ مصير العائلة السورية

حبكة بوليسية لواقع يتفكّك

علي صلاح بلداوي

قراءة رواية «الآن بدأت حياتي»، الصادرة حديثاً عن «دار الكرمة» في مصر، للروائي السوري سومر شحادة (1989)، تُشبه الجلوس على مقعدٍ في صالة السينما، ومن ثمَّ الشروع في مشاهدة الفيلم الذي كتبه وأخرجه الروائيّ نفسه. فهُنا يُمارس شحادة هذا الدّور الذي يُتقنه، لدرجة أنْ تصير الرواية المكتوبة والتي تبدأ بالكشف عن نفسها وأسرارها من أول صفحةٍ إلى آخرها، بأشخاصها وأحداثها وأمكنتها؛ فيلماً، يُمكن مشاهدته عبر السرد وعيش أحداثه عبر كاميرا الروائي التي ستتنقل ما بين ظواهر الشخصيات وبواطنها.

قريباً من الرواية وثيمتها والكتابة عنها، فإنّ شحادة المشغول بالواقع السوريّ في رواياته، هو في جانب آخر، إنسانٌ مشغول بالواقع الفلسطينيّ في مقالاته، فمنذ بدء العدوان على غزّة وحتى اليوم، صمتتْ كثيرٌ من الأصوات التي من المفروض أن تعلو، وعَلت الكثير من الأصوات التي هي أساساً عالية، ومنها صوت صاحب «منازل الأمس» (2023) الذي ظلَّ بمقالاته الدوريّة، يقرأ الواقع الفلسطينيّ ويتتبَّع عمليّة الإبادة التي تجري على مرأىً ومسمَع، ومثلما أنّ الروائيّ هو صوتٌ للمجتمعِ والبيئة التي ينتمي ويعيش، فهو في جانب صوت الإنسان في كلِّ مكانٍ، الإنسان الذي يُقهَر ويُباد ولا صوت له.

يبرز سومر شحادة كمشروعٍ روائيٍّ جادّ في الساحة السوريّة والعربيّة، وتصبّ اهتماماته في الدرجة الأولى على العائلة السوريّة، ومن ثمَّ المجتمع، وتفكُّكه وصدماته في ظلِّ ما يعيشه من ظروفٍ تُساهم في تغييره بحسب ما يمرّ به من مآسٍ ومصاعب، بدءاً بالحرب المُنهكة، وليس انتهاءً بالظروف الاقتصاديّة الخانقة، وهي بالتالي مُسبِّبات تلعب دورها في حياة الناس، تصرّفاتهم ورغباتهم وتؤثّر بالنتيجة في حياتهم الشخصيّة. تستفيد «الآن بدأت حياتي»، وهي رابع روايات صاحبها، من شكل الرواية البوليسيّة التي تجري أحداثها بسبب جريمةٍ ما والبحث عن خيوطها وكشفها، لكنّها لا تنهمك في هذا الجانب فقط، وليست غايتها، كما نتبيَّن، أن يعيشَ القارئ أحداث الجريمة والتحقيق فيها وحياكة مُسبِّباتها وتلبيسها بأشخاص لا علاقة لهم بها؛ بل تذهب إلى الكشف لاً عن غياب العدالة في مجتمعٍ تحكمه القوّة فحسب، بل عن حضور العدالةً ذاتها، ولكن بالطريقة التي تُريدها السلطة، أيّاً كانت هذه السلطة. ثمّ تكشف الرواية عن جوانب اجتماعيّة أُخرى، منها العلاقات المُتعدّدة التي يُمارسها الرجال مع نساءٍ أُخرياتٍ في ظلِّ وجود الزوجة، ومنها تأزّم علاقات الزوجات مع أزواجهنّ، وما قد تُثيره مسألة عدم الإنجاب وتأخّره والتي تعدّ من المشاكل الأُسريّة الحسّاسة في مجتمعاتنا، بالإضافة إلى مشاكل الانفصال والتفكُّك والوحدة.

تجري أحداث الرواية في فترةٍ لا تتجاوز اليوم والليلة، خلالها تحدث «الجريمة» التي لم يكن يتوقّع حدوثها أحدٌ، ويجري التحقيق في الحدث، والتعرّف على شخصيات الرواية وعلاقتها ببعضها، حيثُ يجتمع الأصدقاء في بيت الشخصيّة التي ستكون محور الرواية، وهو يوسف، المُحامي الذي يُقيم احتفالاً توديع قبل سفره بيوم إلى أميركا هو وزوجته، بَعد انتظارٍ دام طَويلاً، لكنَّ ما سيُبعثر كلَّ المخططاتِ هي المفاجأة التي ستحدث: انتحار يوسف.

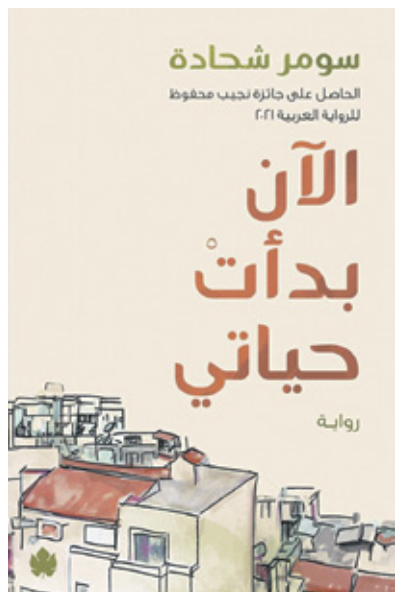

سومر شحادة (خليل سرحيل)

فماذا يعني أن ينتحرَ شخصٌ في ليلة سفره إلى أميركا، ولماذا قد يفعلُ ذلك؟

نبدأ الرواية التي تتوزَّع على ثمانية فصول، بالتعرُّف على شخصيّاتها التي ستُحدِّثنا عن نفسها وعلاقتها بما حولها، فيما يشبه المشاهد الاعترافيّة القصيرة التي توثّقها كاميرا في غرفة التحقيق، وهي اعترافاتٌ صريحةٌ لأشخاص لا يجدونَ من داعٍ للمُكابرة، كأنَّه حديثٌ للمرء مع نفسه. فنتعرّف أوّلاً على إياس، الذي يعيشُ وحده في شقّته المُبعثرة، منفصلاً عن زوجته وبعيداً عن ابنه، وفي داخله استذكارٌ مستمرٌ لحياته السابقة التي تبدو من حديثه أنَّه لم يتخلّص من آثارها وما زال عالقاً فيها. ثمَّ شخصية لين، المُربكة والمُحيِّرة بحالتها النفسيّة وطريقة عيشها وتفكيرها، فهي تعيش بمفردها وتشكو من الوحدة التي ستبدو أنَّها ثقيلة عليها، وتربطها علاقة برجلٍ متزوّج تصفها بالمريحة. ثمَّ ريما، وهي زوجة يُوسف المحامي، إذ كان من المُقرّر أن ينتقل كلاهما إلى أميركا للعيش والاستقرار، حيث نكتشف في ريما المرأة التي كانت رغبتها الأولى هي الحمل والإنجاب، إذ إنَّ تأخُّر حملها هو ما جعل من علاقتها بزوجها غير طبيعيّة، فهي في حديثها تبدو امرأة نادمة على تأخّرها في الإنجاب، لتكون مضطربة أمام فكرة السفر التي خدشت طمأنينتها وأربكت حياتها، مع رجلٍ مُربكٍ أصلاً. بعدها ناديا التي ستحدّثنا عن علاقتها بريما، وهي أُمّها التي ستكتشف أنَّ العلاقة بينهما كانت مُزيَّفة، ولكنها كانت تُحافظ عليها من الخارج كي تبقي على علاقة الأمّ بالابنة، غير أنَّ السفر هو من عَرّى تلك العلاقة وكشف عن حقيقة أنَّ كلّ واحدة منهما تُحبّ الأُخرى ومتعلّقة بها. ومن ثمَّ شخصيّة نهاد، الأب العاجز الذي كان راغباً بسفر ابنه يوسف، وشارك في الحفل ببيجامته وجلوسه في الزاوية. تلي هذه الشخصيات الرئيسيّة، شخصية نذير، الرجل الغامض الذي سيكون دوره في صناعة الأحداث مُبهماً ومؤثّراً في آن، وهذا ما سيلاحظه القارئ.

تتحوَّل عملية الانتحار هذه، إلى جريمةٍ، بفعل صدور بيان وزارة الداخليّة الذي جعل هذا الحدث الغريب يدور في فضاء الجريمة العامة، ممّا يُوحي بأنَّ هناك من أقدَم على جعله ينتحر، أو تعمَّد فِعْل ذلك. ممّا يؤدّي إلى تدخُّل السلطة بمحقّقيها، لخوض غمار التحقيق والكشف عن المُلابسات، وهُنا تظهر الطريقة التي سيتعامل بها هؤلاء مع الحدث، وخضوعهم لتأثيراتِ طرفٍ آخر وخضوعهم لمنطق القوّة واختراعهم لسيناريوهاتٍ تُناسب رغباتهم في سبيل الخلاص إلى مُرتكِب الفعل. في إطار الجريمة، وأي جريمةٍ يُمكن أن تحدث في الأرض، تقفُ «العدالة» مع القويّ، هذه إحدى الخلاصات الأساسية التي تقترحها الرواية التي تجري أحداثها في مدينة اللاذقيّة السوريّة. إنها تنساق خلف القويّ الذي يُوْجِدُها ويُوجد أسبابها. هكذا يجب على الجميع أن يصدّقوها، لأنّها تصدر من سلطةٍ عليا، صار سهلاً أن تُلصق الجريمة - أيّة جريمة - بأيّ أحد. هكذا تصير قراءة عنوان «الآن بدأت حياتي»، هي بداية الخلاص لحياةٍ تداعت وانتهت.

(شاعر من العراق)

مايكل نيلس سرديات إعلامية تستهدف أدمغة البشر

مقاومة تلقين العقول

أسامة إسبر

تُشَنّ حربٌ متواصلة على أدمغتنا للقضاء على جهاز مناعتها بغية اغتيال فكرنا النقدي التساؤلي، وهدم الجسر الذي يصلنا بالذاكرة، وتحويلنا إلى أشخاص يتمّ تلقينهم كل شيء من أحرف الأبجدية والأفكار حتى مكوِّنات غذائهم. ويترافق هذا مع صناعة ثقافة متشابهة وتعميمها في أنحاء العالم من أجل طمس الواقع الحقيقيّ وترويج صورة عن واقع خيالي قائمة على حراسة الاستهلاك وأسواقه. تُشن هذه الحرب علينا كل يوم وتدفعنا إلى الاستسلام وقبول صورة العالم بعد تزييفها. وفي خضم حياتنا اليومية، وبسبب شقائنا من أجل أن نعيش حياة كريمة -إن استطعنا إلى ذلك سبيلاً- لا نكون متنبهين لهذه الحرب رغم أنها تُشن علينا كل يوم من أجل مَسْخنا إلى كائنات خائفة، ممتثلة ومتماثلة، ومنسجمة مع قواعد السلوك السلطوية، التي تفرضها النخبة العالمية والتي تسخّر العلم لخدمتها. هذا ما يقوله كتاب صدر حديثاً للعالِم الألماني مايكل نيلس بعنوان «الدماغ المُلقَّن: كيف تنجح في صدِّ الهجوم العالمي على حريّتك الذهنية»، عن «سكاي هورس» الأميركية. تقام هذه المعركة ضدَّ أدمغة البشر على مستوى أكثر كونية اليوم، وتهدف «النخبة العالمية» من حربها عليها إلى القضاء على جهاز مناعتها، الذي يحافظ على سلامة تفكيرنا وقدرتنا على النقد والتفكيك والتشكيك والتساؤل والاستعانة بالتجارب الماضية من أجل حلول مستقبلية. والهدف من هذه الحرب هو ترويض الدماغ عن طريق قطع صلته بالذاكرة الشخصية وحشوه بما يدفعه إلى الامتثال وقبول الخضوع للقوى التي تحكم العالم عن طريق السوق وتحويله إلى ذهن مدجَّن مربوط برسن الأفكار السائدة. وكل هذا يتم

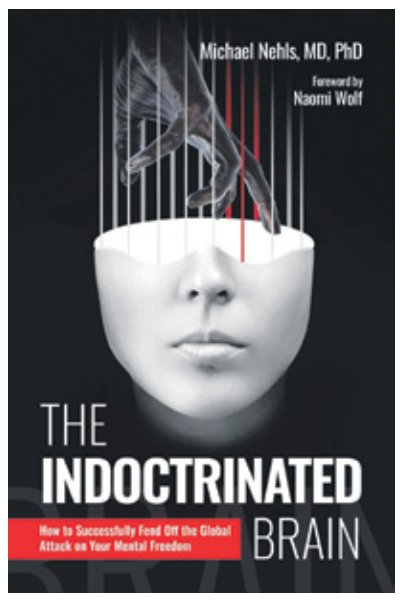

مقاومة التلقين نضال يجب أن يستمر طيلة الحياة

باتباع استراتيجية ترغيب وترهيب وإقلاق وشراء بشكل مباشر أو غير مباشر وتلفيق خطاب وتسويقه في الإعلام كحقيقة. يبدأ الكتاب بتعريف التلقين مُفصِحاً عن أنَّ هدف التلقين هو زراعة سرديّة أيديولوجية في أدمغة الناس، أو تقديم مُعتقد جديد لا يسمح بالنقاش ولا التشكيك. الهدف هو فرض انسجام وطاعة فكرية، والوسيلة لتحقيق هذه الغاية هي اختيار مُسيطر عليه للمعلومات، ودعاية مكثّفة وتلاعب سيكولوجي، وصولاً إلى فرض إجراءات قسريّة وتهديدات بالعقاب. وكلّما كان التلاعب الذهني ماهراً صار نظام التفكير الأيديولوجي المزروع منيعاً على الحجج النقدية والشكوك الداخلية. وينبّه نيلس إلى أنّنا يجب أن نفهم التلقين كهجوم ماكر على إنسانيتنا وشخصيّتنا، وفي النهاية على أغلى الأشياء ألا وهو حرية الفكر. إن مقاومة التلقين نضال يجب أن يستمر طيلة الحياة، كي يحافظ المرء على حرية فكره وبحثه عن المعنى، كما يرى الفيزيائي وعالم الوراثة الجزيئية الألماني المتخصص في علم المناعة. إلّا أنه لا طمأنينة في العالم، ولا يُسمح بها على الصعيد السياسي ولا الاقتصادي ولا الاجتماعي، ويشعر الإنسان في الدول الحديثة بأنّه إذا خرج على المعادلة الاقتصادية المفروضة عليه، والتي تحرس الوضع الاقتصادي القائم، خسر حقّه في الحياة داخل السور المؤسّساتي وأصبح متشرداً. فالخوف هو الفيروس الأخطر والأكثر انتشاراً في العالم، وهذا الخوف مُصنّع ومُعمّم والهدف منه القضاء على الفكر النقدي، وتصنيع الإنسان الخاضع للسلطة. هذا ما يحدث في العالم: ثمة قوى تمارس التلقين لإعادة تشكيل الدماغ والتلاعب به لتوجيهه في مسار الخضوع ومنع نشوء الفكر النقدي، وثمة إعلاميون وكتّاب من مختلف المشارب يسهمون في هذه العملية بسبب الوظائف وضرورة الخضوع لسياساتها.

(شاعر ومترجم سوري مقيم في الولايات المتحدة)

النص الكامل
على الموقع الإلكتروني

نظرة أولى

عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، صدر كتاب **أصول التشريع الإسلامي التكميلية بين التقديس والدنيوة**، للباحث التونسي حمادي ذويب. يناقش الكتاب مفاهيم أصولية إسلامية ثلاثة هي «المصلحة» و«العُرف» و«الاستحسان»، وآلية أصولية هي «تخصيص العموم» بين الديني والدنيوي، كما يتناول قُدسية نظرة المسلمين «التقليديين» إلى المفاهيم الأصولية على الرغم من كونها اجتهاداً بشريّاً دنيويّاً، مُستعرضاً إشكالية العلمنة، أو «العلاقة بين الديني والدنيوي» وبداية تغلغلها في مجتمعات المسلمين لكسر «التابوه» حول قُدسية بعض الآراء الأصولية.

«قُرب اللّاشيء» عنوان الطبعة الإنكليزية من مجموعة «Presque riens» (**لا شيء تقريباً** عنوان الترجمة العربية)، للشاعر المغربي عبد اللطيف اللعبي (1942) التي صدرت عن «دار ديالوغوس»، بتوقيع المُترجِمَين غيلميت وآلان جونستون. تكشف نصوص المجموعة، الحائزة «جائزة روجر كوالسكي الشعرية» في ليون عام 2021، عن موقف تأمّلي عميق إزاء الوجود، وإيمان بقُدرة الشعر على أن يكون خلاصنا في هذا العالَم، كما يتردّد فيها ذلك الصدى الثوري لصاحب «غونكور» (2009) الذي قضى في السجن ثمانية أعوام بين 1972 و1980 لمواقفه المعارضة.

يعدّ ارتكاب الأخطاء أصلاً في عملية القراءة والتأويل، فلا تأويل بمنأى عن الخطيئة، بل إن التأويل على عداوة مريعة مع فعل البراءة والحقيقة. يحاول الباحث خالد حسين في كتاب **اقترافات التأويل: مقاربات في الشعر والنقد**، الصادر عن «دار أوغاريت»، أن يكشف المسار التاريخي لفعل القراءة، الذي ليس سوى اقترافات تتراكم على جانبي هذا الفعل. فالقراءة ليست إلا الميل والزوغان والالتحام، وهذا كله يندفع إلى التحقق من خلال أهواء «فاعل»، يقوم بالقراءة في سياق إراداته وانحيازاته الفنية والجمالية التي تؤثّر في فعل القراءة والتأويل.

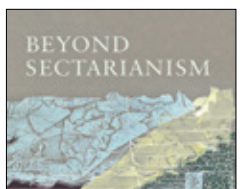

لا يُمكن التعامل مع شخصية الفقيه والشاعر الشريف الرَّضي (970 - 1015م) من زاوية مذهبية مُحدّدة والاكتفاء بها، فاشتغالاته اللغوية ظلّت تُعبّر عن اجتهاد واسع وتأويل مُتشعّب بخاصة في حقل تفسير القرآن. هذا ما تُحاول الباحثة الباكستانية تحسين ظافر تقديمه في كتابها **أبعد من المذهبية: الغموض والتأويل وتشكيلات الهويّة الدينية في الإسلام**، الذي يصدر نهاية الشهر الجاري عن «منشورات جامعة بنسلفانيا». يشغل تفسير الشريف الرضي دوراً مركزياً في الكتاب الذي ينظر في واقع الحياة الفكرية والدينية خلال فترة حُكم الدولة البويهية.

يُحاول ويليام الطرابلسي في كتاب **رسالة في وضع العرب: التاريخ العربي والإسلامي في عيون الصليبيّين**، الصادر عن «دار خطوط وظلال»، بترجمة أحمد التميمي، العودة إلى التاريخ العربي والإسلامي، كما يتناول الإسلام نفسه من وجهة نظر صليبية، في رسالة مُوجّهة إلى الرجل الذي أصبح البابا غريغوري العاشر لاحقاً، ليُفسّر هذا التاريخ ويقف عند أبرز أحداثه ويشرح أهمّ سماته ومقوّماته كي يُعرّف بهذه الرسالة التي تعدُّ من أقدم الكتب الغربيّة الخاصّة بالتاريخ العربي والإسلامي، وتسلط الضوء على العلاقات المسيحية - الإسلامية أواخر العصر الصليبي.

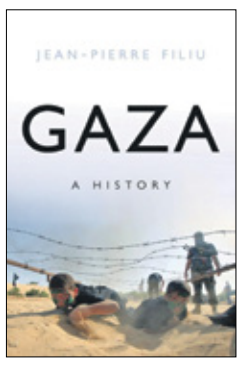

صدرت الطبعة الثانية من كتاب **غزّة: تاريخ** للباحث الفرنسي جون بيار فيليو عن «منشورات هيرست». يرى المؤلّف أن صمود غزّة اليوم يستدعي العودة إلى تاريخها القديم الذي كان دوماً محلّ تنازع بين الحضارات القديمة؛ المصرية واليونانية والفارسية والرومانية، وصولاً إلى العهد الإسلامي حيث شكّلت نقطة صراع بين جميع الحملات العسكرية الغربية القادمة لغزو الشرق، واستمرّ الحال حتى العصر الحديث، فلم يتمكّن البريطانيّون من فرص سيطرتهم على فلسطين قبل احتلال جيشهم غزّة ثم انطلاقهم بعد أشهر إلى بقية المدن الفلسطينية.

كتاب **شرائع الشرق القديم** الصادر عن دار «التكوين»، من تأليف مجموعة من المؤلّفين وترجمة أسامة سراس، ذو أهمية كبيرة لأنه يعود إلى أولى الشرائع المكتوبة في تاريخ البشرية، من حمورابي إلى موسى، التي وضعت لتنظيم العلاقات بين الأفراد على أساس من العدل والمساواة. كما تعتبر الهيئات القضائية وتنظيماتها في حواضر الشرق القديم أوّل محاولة لتنظيم المؤسسات الحقوقية في مجتمع المدينة الذي أخذ شكله الأول في هذه المنطقة. يقدم الكتاب مجموعة من النصوص الكاملة للشرائع البابلية والسومرية والحثية، شارحاً إياها ومفسّراً أهميتها الحضارية.

لكُلّ ثقافة تفسيرها الخاصّ للرموز والألوان، فهل سألنا مرّة لماذا يَقترن الأسود بالحُزن والحِداد؟ ولماذا يرتبط اسمه بالشرّ؟ وما سبب ارتداء بعض رجال الدّين الزيَّ الأسود؟ وماذا وراء مصطلحات «الرجل الأسود» و«الثقوب السوداء» و«الفكاهة السوداء»؟ يتعمّق الفيلسوف الفرنسي آلان باديو في كتاب **الأسود: فلسفة اللّالون** برموز اللون الأسود كالخوف والأناقة والبؤس والإبداع والرّغبة، وتجلّياته في الرسم والموسيقى والسياسة والميتافيزيقيا، فضلاً عن علاقته مع الألوان الأخرى، ويقدّم تحليلاً له. تصدر ترجمة الكتاب قريباً عن «دار الساقي».